اسم المصدر : الرياض

التاريخ : 24-01-2011

رقم العدد : 15554 رقم الصفحة : 22 مسلسل : 162 رقم القصاصة : 1

الملك عبدالله: «حراسة الدين».. و«سياسة الدنيا» و«محبة الناس»

■ في أزمان عربية، كالتي تعيشها، حيث الفوضى تدق أبواب الأوطان بعنف من حق السعوديين في مملكة لا تزال تواصل صبرها الموروث منه والمكتسب، ان يبتهجوا وان يستعدوا للاحتفاء بسلامة جليلهم أو قل جليل عرب ابطأت عنهم المقادير، فمنحتهم قدراً وافراً من الهواجس والقلق والأحزان.

ذلك ان الرعاية العاقلة لأحوال العرب، وخصوصاً في بؤر انفجارها المزمنة: فلسطين ولبنان والعراق، التي تميز بها العاهل السعودي جعلت منه موئل استغاثة ورجاء في كثير من الضمائر العربية لاطفاء الحرائق العربية التي تتزايد انفجاراتها.

فالرجل الذي أدرك أحكام الماوردي السلطانية بفطرته وتجربته وحكمته، لا يحتاج إلى شهادات حافلة بألقاب التعظيم والتمجيد والتبجيل والجبروت فهو يعرف ان الامامة موضوعة لحراسة الدين ومن أجل سياسية الدنيا، ألم يقل الماوردي صاحب الأحكام السلطانية: الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا؟!

فصورة الاب الراعي لقيم عربية أصيلة تعاند عصراً جارفاً يدفع مجتمعات برمتها نحو الاندثار لا تزال حاضرة في أذهان الناس، عن الملك عبدالله بن عبدالعزيز منذ ولايته العهد فاختلاف تلك الصورة هو ما أتاح الموازنة بين تلك التيارات المتاضدة التي عصفت ولا تزال بالمجتمع السعودي وجواره تيارة الحداثة وتيار التقليد فعبرت تلك التيارات أخطر مراحلها برعايته حين أصبح الحديث حول الاصلاحات أمراً مقبولاً.

فبالنزاهة تمكن من إجراء اصلاحات جوهرية عديدة، وبالتواضع استطاع احتواء أزمات داخلية حادة واقليمية عاتية بهدوء وسلام وبالاندفاع الحازم والمحسوب، تفهم حاجة المجتمعات العربية بعامة ومنها المجتمع السعودي إلى ضرورة القطع الحاسم مع ثقافة التطرف ومع ذهنية التكفير والتحريم العشوائيتين.

فتنظيم «هيئة البيعة» الجديد وهو أول قرار من نوعه منذ تأسيس المملكة العربية السعودية، أنهى الهواجس والمخاوف حول الخلافة وأحقية الحكم في السعودية. إذ شكل القرار اجابة لأسئلة كبيرة ترددت أصداؤها في السنوات الأخيرة محلياً واقليمياً ودولياً.

فالملك الذي يقال عنه بانه نادر الغضب، وان غضبه يمتد طويلاً إذا فعل استحق من السعوديين الذين عرفوه عن كثب قبل غيرهم محبة مختلفة، ذلك انهم يعرفون في مأثورهم العربي الأصيل بأن احق الناس بالتوقير الملك الحليم العالم بالأمور، وفرص الأعمال، ومواضع الشدة واللين والغضب، والرضا والمعالجة والاناة، الناظر في أمر يومه وغده وعواقب أعماله.

ولأن ملكاً بحكمة الثمانين كالملك عبدالله بن عبدالعزيز يعرف ان «عقول الرجال تحت اسنة أقلامها، فقد آمن بأن الحوار ضرورة لا بد منها من أجل تطوير العقول لتكون باباً للتسوية الممكنة بين مؤسسة الحكم والمؤسسة الدينية، فحرص منذ سنوات حكمة الأولى على تجديد «فكرة الدولة والشرعية، في المجتمع السعودي عبر مستويات ثلاثة، فالمستوى الأول يتحدد في صون الأمن والاستقرار داخلياً وخارجياً ونشر ثقافة المواطنة والعدالة، والمستوى الثاني يأتي من خلال تعزيز الثقة بين القيادة والشعب عبر المشاركة، أما المستوى الثالث فيأتي عبر النهوض بالمؤسسات والمرافق العامة وتطوير وتيرة النمو في حياة المواطنين.

وفي الشؤون والشجون العربية وما أكثرها ثمة تغير واضح في السياسة السعودية لا تخطئه عين المراقب ارتبط بشخصية العاهل السعودي، فالمملكة التي ألفها العرب بسياسة الصمت والصبر تيمناً بحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان، ها هي تحرص اليوم على تحديد موقف معلن عند كل محطة سياسية، فالحديث اليوم عن سياسة هادئة لبلد عربي إسلامي هي نقيض الصخب بعينه، هو بالتأكيد أمر مستغرب، أو قل غير مألوف، ذلك ان حديث الهدوء السياسي ذاك لا يوحي بطبيعة الأزمات المشتعلة حول ذلك البلد، بيد ان الاستغراب يتبدد حين تعرف ان الحديث يجري عن سياسة بلد يسعى إلى التغيير الهادئ والمفيد وما ينفع الناس ومن دون صخب أيضاً.

فعربياً وفي ظروف تعصف فيها عوامل الفرقة في القارة العربية العريضة تبنت المملكة سياسة قوامها العمل على «انعاش وتثبيت قواسم عربية مشتركة حول العناوين الاستراتيجية الأساسية وتحقيق أكبر قدر ممكن من التفهم الدولي لمواقفنا.

أما إيرانياً فقد تغيرت السياسة السعودية تجاه طهران بقدر ما أصبح واضحاً لدى الأولى بأن إيران لا تسعى إلى «تفاهمات اقليمية، بمقدار سعيها إلى اقرار دولي يؤكد دورها في الاقليم سياسياً

راكان المجالي

اسم المصدر : الرياض

التاريخ : 24-01-2011

رقم العدد : 15554 رقم الصفحة : 22 مسلسل : 162 رقم القصاصة : 2

نووياً ومن دون إقامة أي اعتبار لجيرانها ومصالحهم الفعلية، واستناداً إلى ذلك لوضوح تغير أيضاً التقدير السعودي طبيعة الدور الروسي حول إيران، فتغيرت تبعاً لذلك سياسة المملكة تجاه روسيا.

معروف ان «النصوص المؤسسة» للدولة السعودية القديم منها والحديث جرى إعلانها من مكة المكرمة، وليس من أية مدينة سعودية أخرى، سواء كانت الرياض العاصمة أو جدة ثانية المدن السعودية، وكبراها على ساحل البحر الأحمر فمن مكة المكرمة أعلن الملك المؤسس عبدالعزيز النظام الأساسي، وهو أول نظام شامل لإدارة البلاد السعودية، في مطالع القرن العشرين، ومنها أيضاً تم اعلان نظام ولاية العهد وأول مرة، وذلك بعد سبع سنوات من وضع النظام الأساسي للحكم في البلاد وقبل نحو أربعة أعوام أصدر الملك عبدالله، من مكة أيضاً قراره بإنشاء هيئة البيعة ومن بعدها اللائحة التنفيذية لها، ولا تخفى دلالة ذلك على أي ذهن رشيد بما للمدينة العتيقة من مكانة واحترام في نفوس كل العرب والمسلمين الذين يأتون إليها كل عام على كل ضامر ومن كل فج عميق.

ولعل المعاناة السعودية الأكبر، في السنوات القريبة الماضية، كانت من نتائج أحداث الحادي عشر من ايلول سبتمبر في نيويورك قبل نحو عشرة أعوام فكل شيء وضع على المحك آنذاك، من السياسة إلى الأمن، وما بينهما من مصالح وشؤون تخص تفاصيل حياة الناس اليومية صغيرهم وكبيرهم، حاكمهم ومحكومهم، وفيها واجهت القيادة السعودية في علاقاتها الدولية حرجاً بالغاً لم تألفه من قبل، فأصبحت الحياة السعودية وبكل تفاصيلها بمقتضى تلك الأحداث موضوعاً مفتوحاً لتنبؤات وتساؤلات الإعلام الغربي، فمن نظام الحكم وتسلسل الخلافة السعودية إلى التعليم الديني، إلى تحذيرات متطرفة من سيطرة السعودية على أقدس مدينتين إسلاميتين في العالم الإسلامي، إلى بعض تسريبات لخرائط للمنطقة، تظهر مكة المكرمة والمدينة المنورة، خارج الأراضي السعودية. إلى أحاديث مضخمة عن الفساد في السعودية. إلى موضوعات العمل الخيري والتبرعات الشعبية وما يتصل بهما من حسابات مصرفية، التي هي أساس تقليدي في الحلقوس والواجبات الإسلامية، أصبحت كلها معرضة للتشريح والنقد باعتبارها مصادر لتمويل نشاطات ارهابية ومتطرفة!؟

وبصورة عامة تحول الارهاب إلى صفة لصيقة بصورة المسلمين في معظم الأوساط الغربية والأمريكية منها على وجه الخصوص، لتبدأ بعدها سلسلة المتاعب التي تعرض لها ولا يزال كل من هو مسلم أو عربي أو شرق أوسطي.

وهي عقبات كأداء تفوق قدرات الأفراد في السيطرة عليها، غير ان الملك عبدالله تمكن بحكمته وسياسته العاقلة الرشيدة من حصر الارهاب في الارهابيين.

واستطاع تثبيت رغبة العرب بالسلام دولياً ومن دون التخلي عن الحقوق الأساسية للأمة، أو المواقف القومية العربية والإسلامية من قضاياها الاستراتيجية، كما تمكن من تجاوز عوائق جمة كانت موضوعة أمام سياسة السعودية في الغرب، واطلق دعوته الشهيرة قبل نحو عامين للحوار بين الأديان السماوية الثلاثة، أو الديانات الابراهيمية، أو قل الحوار بين أتباع هذه الأديان. وعادت العلاقات السعودية الأمريكية إلى سابق عهدها في التعاون.

ذلك ان السعودية لا تدعي الخصومة مع الإدارات الأمريكية، بل تعتبر التعاون قاعدة أساسية للعلاقة بين البلدين مع الإبقاء على مسافة معقولة عن السياسة الأمريكية، تتباين مساحتها بحسب القضية المختلف عليها. أما ما يظهر أحياناً في الإعلام من حميمية العلاقات بين واشنطن والرياض فهو لا يعبر تماماً عن مضمون تلك العلاقات. فهناك خلافات في وجهات النظر بين الطرفين، أعمق بكثير مما يطفو على السطح.

ومهما تحسنت تلك العلاقات فثمة حرص دائم عند العاهل السعودي، على ابقاء مسافة واضحة بين قرارات بلاده السياسية وموقف الإدارة الأمريكية في البيت الأبيض.

لهذا ولغيره قالت العرب في أصيل مأثورها الأدبي القديم:

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم

ولا سراة إذا جهالهم سادوا

فحق للسعوديين، والأحوال العربية لا تزال على هذا النحو من التردي، ان يبتهجوا بمعافاة مليكهم، وان يستذكروا حكمة العرب القائلة: «ان تسلم الجلة فالنيب هدر.. (الجلة: جمع جليل: أي العظام من الابل، والنيب جمع ناب أي الناقة المسنة) ذلك ان السراة وحدهم يعرفون ترتيب الأولويات، بين حراسة